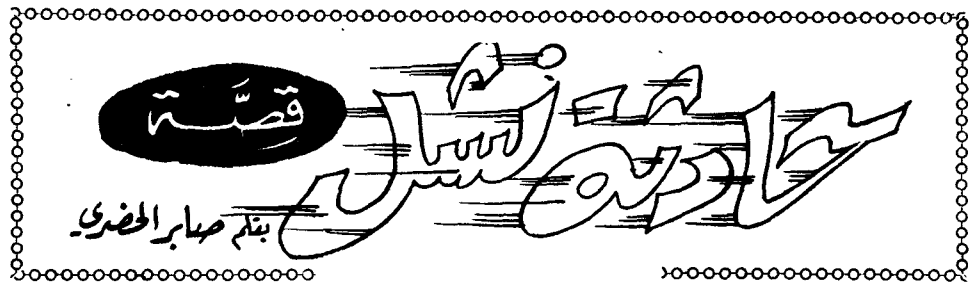

... خرج من المصنع ، وكان يعلم جيدا انه يخرج من بابه لاخر مرة، وابطأ في سيره ، ثم اخذ يتحسس بيده السور الكالح اللون الذي يحيط بالمصنع .. وتنهد .. « هه .. عمر تاني .. دنيا . » وارادت الدموع أن تنبثق ، ولكنه منعها جاهدا ، واستبدت به رغبة جامحة في ان يقبل السور ، رغبة لم يستطع مقاومتها .. وقبله قبلة طويلة اودعها كل ما في قلبه من حب .. وخشي حامد ان يظن به الناس الجنون ، فنظر للجدران الصامتة نظرة حزينة ، وتنهد مرة اخرى .. ثم سار في طريقه .. كان عليه ان يسير قليلا حتى يصل الى محطة الاتوبيس ، وتحسس الجيب ، ثم نظر خلفه فوجد المبنى يلوح من بعيد كحلم صعب المنال ، وتحسس الجيب مرة اخرى عندما وصل المحطة ، وطرأت على راسه فكره ، لم لا يراجع النقود التي يحملها معه فربما كانت ناقصة ، وارتجفت اصابعه وهي تتحسس الحافظة البالية ، وبيد معروقة هدها العمل والسن اخرج بضع اوراق مالية ، وانهمك في عدها .. كان مشهدا غريبا حقا ان يكون مع ذلك العجوز البائس ذلك المبلغ الكبير من المال .. وعلى المحطة كان يقف اناس كثيرون ، رجال ونساء واطفال .. و .. عزيز .. وعزيز هذا نشال . تلك هي وظيفته التي تعرفه بها جميع اقسام بوليس القاهرة .. وابناء الكار يعملون له الف حساب، فعزيز عيسى ليس نشالا عاديا .. بل ان شهرته تعادل تماما شهرة نجوم السينما ، فله صور كثيرة توزعها الاقسام بين حين واخر ، وتتبرع الصحف بنشرها مجانا .. من اجله .. كان يقف زائغ العينين ، وبجواره كانت تقف امراة تحمل في يدها طفلا رضيعا يبكي وتحاول اسكاته ... وعلى الرصيف المقابل كانت فتاة تبتسم ابتسامة تشجيع لشاب يغازلها ، وعلى بعد خطوات انهمك الكهل في عد نقوده .. و .. فجاة احس عزيز بشيء يرتطم به ، فنظر تحت اقدامه ، وفاجاه طفل صغير يصرخ من الالم وقد تدحرج على ارض الطوار .. « اسم الله يا حبيبي .. مش قلتلك بطل شقاوه يا اخي .. انت عذبتني .. » وتناولته امه وهي تتمتم بالعبارة السابقة ، وتنظف ثيابه وتضمه اليها في حنان .. وتعالى صراخ الطفل الرضيع .. واحس عزيز براسه يدور بقوه وبعنف ، ودخل المحطة اتوبيس « نمره كام والله يا افندي ؟ .. » وصوت اجش .. وصوت رفيع .. و . « ماما انا عاوز شكولاته .. هه » وفوق خد عزيز كانت دمعة تهبط ببطء .. لكم تاق عزيز مرارا ان تكون له ام ... اي ام .. بالتاكيد ان امراة ولدته .. ولكن من هي ؟.. هذا مالا يعلمه ... هل اشعرته مرة بدفء صدرها ؟ .. هل اشعرته مرة بحنانها ... هل وقع مرة على الارض وصرخ فاردفت مرتاعة « اسم النبي حارسك .» ودق قلبها .. لا .. انه لا يذكر .. لا يذكر الا الطوار البارد ، وعمود النور ، واقدام المارة وهي تركله .. بقسوة . الم يكن طفلا جميلا كهؤلاء الاطفال .. بلى . انه يقسم .. لقد كان كذلك .. كان ملاكا صغيرا .. يزحف على الارض ببطن خاوية وعيون تمتلىء بالدموع .. يقسم في كل لحظة ان يضحي بحياته في سبيل كسرة خبز تسد رمقه ، وشيء يستربه جسده ، وصدر حنون وسادة لراسه .. هل هذا كثير ؟ ... « انا لست غريبا عنك .. لم تشيح بوجهك عني ؟ .. وكانت نظرات المارة وتصرفاتهم تجاهه تعطيه الجواب دائما .. لانك قذر .. ابن شوارع .. « نعم انا قذر وابن شوارع .. صدقت .. » ومن يومها علم عزيز انه آفة في المجتمع .. لا . لم يعلم فقط بل احس .. احس بذلك في كل زفرة من زفراته .. في كل همسة كان يهمس بها الى نفسه .. في كل نظرة من نظرات الناس له .. لماذا ؟ .. ماذا فعلت ؟ .. انا آدمي ... اقسم ... وكانت صيحته تخفت دائما وتذهب بعيدا .. رويدا .. رويدا .. بل انه قد اقتنع فعلا انه ليس بادمي ، بعد ان افهمه الجميع ذلك ، في اصلاحية الاحداث .. في السجن . في كل مكان ذهب اليه كان الدرس واحدا قاسيا .. واشخاص يمرون به في مسرح كبير ، يرمقهم او يرمقونه ، يمر بهم ويمرون به ، ثم يشعر بغصة في حلقه ، ومزيد من الحقد يحتل قلبه ، ودموع تود ان تهبط من عينيه ، وذكريات تداعب خياله في كل وقت ، ومستقبل مظلم مجهول ينتظره .. و .. «آه لو كان في قدرة الانسان ان يحدد مصيره ...»

وجاء الاتوبيس اخيرا ، واستطاع حامد ان يدس نفسه في الداخل بصعوبة ، وطارت بقايا السيجارة التي يحملها في يده ، وتحسر عليها في الم ، ولكنه تذكر انها معركه ، ويجب ان يخوضها بنجاح ، فتشبث بالعمود الحديد بكل ما اوتي من قوة .. اما عزيز فقد استطاع ان يجد لنفسه مكانا هو الاخر بصعوبة ، وانطلقت السيارة ، والتقت نظرات حامد بنظرات عزيز لقاء عابرا .. وبين دقيقة واخرى يقف الاوتوبيس ، ويهبط شخص ، ويصعد اشخاص ، والسائق دائما يشد ما تبقى من شعر راسه وكانما يثبت ان له بقية من شعر تسد ، والكمساري ينفخ في صفارته باقصى قوته .. وعادة تنطلق العربة بعد ذلك .. والزحام شديد ، ورغم ذلك فثرثرة الركاب حامية الوطيس ، وكان حامد ينظر اليهم بين آونة واخرى منتبها لكلمة او عبارة ، واحيانا كان يشترك معهم في الثرثرة ، ولكنه كان دائما يعود الى افكاره :

« اربعين سنة وانا باخدم في المصنع بكل اخلاص وامانة ، وفي الاخر وبعبارة بسيطة يشردوني ، يحكموا علي بالضياع ... ياريس حامد انت وصلت لستين سنه وصحتك ما بقتش تتحمل شغل .. و .. حاسب رجلي فرمتها يا جدع انت .. » وتمتم عزيز بلا وعي « متاسف .. غصب عني يا والدي .. » وقبل ذلك بلحظات كان عزيز في واد اخر ، يداعبه سؤال ـ غريب بالنسبة اليه ـ هل يمكن ان ينسى الانسان ماضيه ويبدأ من جديد ؟.. « متاسف غصب عني يا والدي..» وسال نفسه فجاة : لماذا يتاسف للرجل ؟... وهل كان يجب عليه ان يفعل ذلك ... ربما .. ولكن لماذا لم يتاسف له كل الذين داسوه في طفولته باقدامهم وهو يرتمي في البرد القارس بلا غطاء يحميه ، وارتجف عزيز

فجاة حين مرت في ذكراته صورة سريعة مهزوزة لماضيه المظلم ..

وفي واد اخر كان حامد لا يزال تائها ، كانت تتردد في ذهنه اسئلة كثيرة ، وكان يقف حائرا امام هذا العدد الضخم من علامات الاستفهام التي بدات تحتل ذهنه : ماذا حدث ؟ .. ثم .. ماذا سيحدث ؟ ... والى اين المفر ؟ .. كيف ؟ ... ولكن لماذا ؟ ... اي ذنب جناه ؟ ... و ...

وانساب صوت الكمساري قويا عاليا كانما يعلن عن وجوده ، ويرد التائهين من عالمهم الى عالمه ... « ورق .. ورق .. اللي ما قطعش وناسي يا افنديه » .. ودس حامد يده في جيبه ، وغابت اليد برهة طويلة تدور داخل الجيب الواسع ، وكانها تصيد القرش من قاع المحيط .. اما عزيز فقد مد يده بالقرش دون ان ينبس ودون ان يبادل الكمساري ابتسامته البلهاء ... واخيرا وجد حامد ما كان يبحث عنه ، وناول الكمساري القرش في تافف ، وتنهد ثم همس لنفسه ... « خد يا شيخ حرقتم دمنا .. ورق .. انت ايه ما تسهاش مره .. و .. ياريس حامد احنا متاسفين خالص .. انت راجل بتخدم المصنع من زمان ، واحنا مقدرين جهودك .. لكن صحتك ؟ .. مالها صحتي ؟ .. ما انا زي الحصان اهه .. الشركة قررت تقيلك وتديك مكافاتك .. مكافاة ؟ .. ودي تطلع كام ؟ ... يعني ممكن تعوضني عن العمر اللي ضاع مني في خدمتكم ؟.... »

وكان عزيز يستعرض بعينيه الاشخاص الذين يلتفون حوله ، ويهمس لنفسه : « شوفلك صيده غير الراجل الفلبان ده .. مثلا الافندي المتشيك ده .. مؤكد مريش ... لكن لو كان مريش ايه اللي حيوقفه هنا في درجة ثانية وسط الزحمه الا اذا كان زي حالاتي .. طيب .. المدموزيل اللطيفة الى واقفه قدامك دي وشها بيحمر كل ما تبصلها .. يا سلام .. انخالق الناطق امينه .. امينه .. مفيش بعد كده . مومس صحيح لكن بنت اصل تمام ، ساعدتني وفتحتلي بيتها لما اتخلى الكل عني .. قدمت لي اغلى حاجه عندها .. قلبها ... عشان كده يمكن افكر اسرق جنس حوا كله اكراما لعيونها .. يبقى مفيش غيره ... وبعدين .. اشمعنى ضميرك صحي دلوقت يا فالح لما لقيت قدامك الجنيهات وانت كنت بتسرق الملاليم زمان .. اصلك غاوي فقر . . و .. » وكاد يصرف نظره فعلا وينصرف ، ولكن العربة توقفت فجاة ومال كل راكب على زميله، ثم تبودلت كلمات الاعتذار المناسبة ، ولحظتها احس عزيز انه لن يستطيع مقاومة اغراء الحافظة بعد ان احسها بصدره منفوشة غليظة تكاد تقفز من جاكتة الرجل .. « نطلع من المولد بلا حمص يعني ؟ ... »

وتعالى فجاة صوت امراة ترتدي الملاع اللف وتناقش الكمساري بصوت مرتفع :

ـ « ايه دا يا ادلعدى ؟ ... » قال الكمساري وهو ينظر بغباء للنقود التي يمد بها يده :

ـ « بقية العشرة صاغ ... » ومطت المراة بوزها متسائلة :

ـ «ليه ؟ .. البنت الصغيره المفعوصه دي عليها تذكره ؟ .. مين اللي قال كده ؟ .. دي عليها نص بس .. هات الباقي .. » ... ورد الكمساري بحماس رافضا البيعه : :

ـ« لا يا ستي ما ينفعش .. »

والاتوبيس احيانايقف فجاة،فيهتز الركاب ،ثم يتبادلون كلمات الاعتذار .. ثم تمر الازمة بسلام .. ولكنها لم تمر هذه المرة ، فقد حدث انه لما مد الكمساري يده ـ لغرض شريف ـ ليسند المراة التي فقدت توازنها ولم يفقد لسانها توازنه ، حدث انها ظنته يريد شيئا اخر غير مجرد مساعدتها ، واكد ذلك قولها « انت حتمد ايدك كمان .. اهودا اللي كان ناقص .. اياك تكون فاكرني واحدة منهم .. » وصمت الكمساري ولم ينبس .. وفعلها الاتوبيس اللعين مرة اخرى ... وصاحت المراة بتنمر « وكمان بتزغدني ؟ . .» وحقا والشهادة لله لقد زغدها الرجل بالمنفستو هذه المره ـ دون قصد ـ واكملت المراة حديثها بعد ان اخذت نفسا طويلا على عادة ابناء البلد ... « لا والنبي تعالى اضربلك قلمين .. اسمع .. انا ورايا فتوات يقطعوك حتت .. انت فاهم ؟ .. ويرد الكمساري المشدوه :

ـ يا خويا ايه البلاوي اللي بتتحدف علينا دي .. يا وليه انا لمستك؟ ... مش عاجبك هاتي التذاكر وخدي فلوسك وانزلي .. الله .. » همس احد الركاب لزميله ـ مستظرفا نفسه ـ

ـ « بس لو كانت حلوة ؟ .. دي شبه حماتي .. » وتعالت ضحكات الركاب كل نظر الى المراة بشماته وكانها حماته ، وضحك حامد ، وابتسم عزيز ابتسامة ضيقة ، وفي تلك اللحظة بالذات كانت حافظة النقود قد انتقلت من جيب حامد الى جيب عزيز بسرعة وبراعةوبساطةتدعو للدهشة والاعجاب ... انتهت المشكلة اذن بالنسبة لعزيز بعد ان تغلب صوت العقل والعاطفة على صوت الضمير .. وهم بالزوغان بعد ان ادى مهمته، ولكن اوقفه صوت حامد ـ بل قل ارعبه ـ وهو يهمس الى نفسه كعادته ولكن بصوت اعلى قليلا هذه المره ، وكانما نسي انه لازال في الاتوبيس .. وتريث عزيز قليلا ثم انصت : « بس لو كان الواحد معاه فلوس ؟ .. معلهش .. تتعدل .. المهم ان نقدر دلوقت نفتح دكان بقيمة عشرين ثلاثين جنيه للواد محمد ياكل منها عيش ويكفي نفسه ، مسكين فصلته الكلية عشان المصاريف .. لا انا قادر اخليه يكمل تعليمه ولا قادر اشغله في اي داهية .. قاعد مرمي جنب امه في البيت ، وكمان ندى قرشين لام على عشان تشوف عريس للبت سعديه ... وصلت لعشرين سنة يا حامد .. كبرت يعني .. كبرت قوي .. ولاحد فكر يتقدم لها ... كمان بقية العيال وامهم عاوزين هدوم .. غير الديون .. يادي المصيبه .. يادوب المية جنيه حيكفوا بالعافيه ، وبعد كده رزقي ورزقهم على اللي خلقنا .. هو في حد بيموت من الجوع ؟ .. كله على الله .. »

وتسمر عزيز في مكانه ، وبهت ، واستيقظ ضميره فجاة ، فارتبك ، ثم تحسس بيده الحافظة التي ترقد بجيبه في صمت واستسلام ، ثم نظر مرة اخرى لحامد ، ثم تحسس الحافظة .. ثم .. ثم تاه بين النظر

اطلب ((الاداب))

في المملكة المغربية الشريفة

من وكيلها العام السيد احمد عيسى صاحب

مكتبة الوحدة العربية

١٧ شارع الملكة (الاحباس)

الدار البيضاء

والتحسس ... لا انا ولا انت وحدنا نستطيع ان نبني مجتمعا مثاليا ؟؟ ... هكذا كان يردد لنفسه .. والحافظة يحس بها كثعبان يلدغه ، ونظرات الرجل التائهة تقلقه ، وتخيل عزيز موقف الرجل حين يصل الى منزله ، سيستقبله اولاده بنظرات قلقة ، ويلتفون حوله ، ينظرون اليه وينتظرون ، يداعب كل منهم امل : سعدية تحلم بالعريس المنتظر ، ومحمد يود من صميم فؤاده لو تحقق حلمه ، واستطاع ابوه ان يساعده بمبلغ بسيط ليبدأ حياته من جديد .. انه يريد ان يعمل .. وبقية الاولاد يحلم كل منهم ببدلة جديدة او حتى مستعملة ، او جلباب يظهر به بين اقرانه في الحاره .. وسيبتسم لهم حامد .. ثم سيمد يده ليخرج الحافظة ويريهم النقود .. و .. وارتجف عزيز رجفة شديدة عندما وصل الى هذا الحد من تخيله ... وتصبب العرق غزيرا من جبينه « رغم الشر الكثير هناك ذرة خير في كل انسان .. » هكذا همس لنفسه ... والاطفال مشدهون ـ تماما كلما كان طول عمره ـ والام تكاد تولول .. والحافظة كانت في هذا الجيب بالذات ؟؟ .. اين ذهبت والآمـــال انهارت .. ونظرات الياس اطلت من العيون .. وارتجف عزيز ثم تنهد ... و .. وهكذا قرر ان يفعل الخير لاول مرة في حياته حينما قـرر ان يرد الحافظة الى حامد .

واخرج الحافظة في بطء وصمت .. وكاد يسقطها بين الاقدام وينبه حامد اليها ، ولكن تكهرب الجو فجاة ... تحسس حامد جيبه فلم يجـد الحافظة ، بسرعة لمحها ترتجف بين اصابع عزيز ، وشقت صيحة طويلة صمتالاتوبيس الذي تعب راكبوه من الثرثرة .

« حرامي .. حرامي .. الحقوني .. »

والطريق الى الباب طويل ، والاجساد البشرية تسده .. كيف يهرب .. لا مفر ..لقد سدت المنافذ في وجهه ... وتوقف الاتوبيس ،وتحسس كلراكب جيبه ليطمئن على وجود حافظته .. وجاء شرطي قصير ذو شوارب طويلة مبرومة .. واقتيد السارق الى القسم ، وبين لحظة واخرى يشب العسكري القصير فيصفعه .. ويتذكر حامد كل المشاكل التي كانت ستحدث لو سرقت الحافظة « كنت حتخرب بيتي يا بعيد .. خد .. » ويشب هو الاخر ويصفعه ... بكل قوته .. ويتجرأ الاخرون فيصفعه كل منهم حيثما اتفق .. ومن خلال الصفعات كانت دمعة وحيدة حائرة تهبط من عينه ، وما لبث ان ابتسم في شماته وهو ينظر للناس .. وتلاشت دمعته بين ثنايا ابتسامته وهو يتلقى صفعة هائلة من حامد، تتلوها صفعات من ذلك الشرطي القصير ذي الشوارب الطويلـــة المبرومة ....

صابر الحضري ..

العودة من النبع الحالم

مجموعة شعر

للشاعرة المبدعة

سلمى الخضراء الجيوسي

صدر حديثا — دار الآداب ـ بيروت

صدر حديثا

قرارة الموجة
شعر نازك الملائكة

وحدي مع الايام
شعر ـ فدوى طوقان

وجدتها
شعر ـ فدوى طوقان

الحب والنفس
قصص ـ عبد السلام العجيلي

منشورات دار الاداب ـ بيروت